الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف
قسم علم الاجتماع

محاضرة موجهة إلى طلبة السنة
الأولى جذع مشترك
علوم اجتماعية
في مقياس: فرد وثقافة

عنوان المحاضرة:

# البعد الثقافي للشخصية

أستاذة المقياس:
د. عواطف عطيل

**تمهيد:**

زاد الاهتمام في الوقت الحاضر، بموضوع دراسة "الشخصية"، كمقولة أساسية من مقولات علم الاجتماع والثقافة، الأمر الذي فرض على علماء الثقافة، أن يصبح مصطلح "الثقافة والشخصية" من أحدث وأهم المصطلحات السوسيولوجية، المتداولة في الدراسات الثقافية المعاصرة. ويغط المصطلح المعاصر للثقافة والشخصية، سلسلة مترابطة من القضايا، التي تشكل عاملا مشتركا بين علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وذلك انطلاقا من أن قضايا الثقافة تدفع الباحث فيها إلى خوض ميادين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، في حين يدخل موضوع الشخصية، في نطاق علم النفس الفردي، وعلم النفس الاجتماعي. غير أننا ضمن هذه المحاضرة سنتناول الشخصية كمفهوم سوسيولوجي، وضمن مقاربة سوسيوثقافية، تحدد البعد الثقافي في تكوين الشخصية.

## 1- المفهوم السوسيولوجي للشخصية:

يتفق علماء الاجتماع على أن الشخصية تتكون وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وبدون هذا التفاعل لا تكون للفرد شخصية، ومن هنا كان تركيزهم في دراسة الشخصية على الاتجاهات العامة، أي على التشابه والتماثل في سلوك شخصيات الجماعة الواحدة، فالاتجاه هو الوحدة الرئيسية في التنظيم، أي في الشخصية. ويقصد علماء الاجتماع بالاتجاه "ذلك الميل المكتسب، الذي يجعل الفرد يتصرف بصورة معينة نحو فرد معين أو شيء، أو معرفة". هذا، ومن جهة أخرى فإن اهتمام علماء الاجتماع بتشابه شخصيات أعضاء الجماعة، جعلهم يؤكدون على أهمية التنظيم في الشخصية، فالشخصية هي تنظيم لجميع اتجاهات الفرد، ويتكون هذا التنظيم من خلال تفاعل الفرد مع غيره في الحياة الاجتماعية، فنحن نعتمد على الآخرين كحوافز للسلوك، وكمعلمين له.

ويرى **ماكيفر R.M. MacIver** و**بيدج Charles H. Page** أن العلاقة بين الثقافة والشخصية، تتضمن من جهة التراث الاجتماعي الشامل المحيط بالفرد، ومن جهة أخرى الصفة الكاملة للفرد، والشخصية على حد تعبيرهما، هي كل ما مر بالفرد من تجارب في الماضي والحاضر، بشرط أن يفهم هذا الكل كوحدة (ماكيفر و بيج، 2000، صفحة 117). ومن ثم، فإن الشخصية اصطلاح أوسع مدلولا من الفردية، ذلك أن الشخصية تستوعب هذا "الكل المنظم من العمليات الإطرادية والحالات النفسية المتعلقة بالفرد". يعرف **ميشال دينكن M. Dunken** الشخصية في **معجم علم الاجتماع** بأنها:"مجموعة العناصر والمميزات البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، التي تميز الفرد عن بقية الأفراد الآخرين، وتكتسب هذه العناصر والمميزات من

الفرد عن طريق الوراثة أو البيئة الاجتماعية، خلال المراحل التكوينية، التي يمر بها الفرد قبل تكامل وتبلور شخصيته" (دينكن، 1980، صفحة 33).

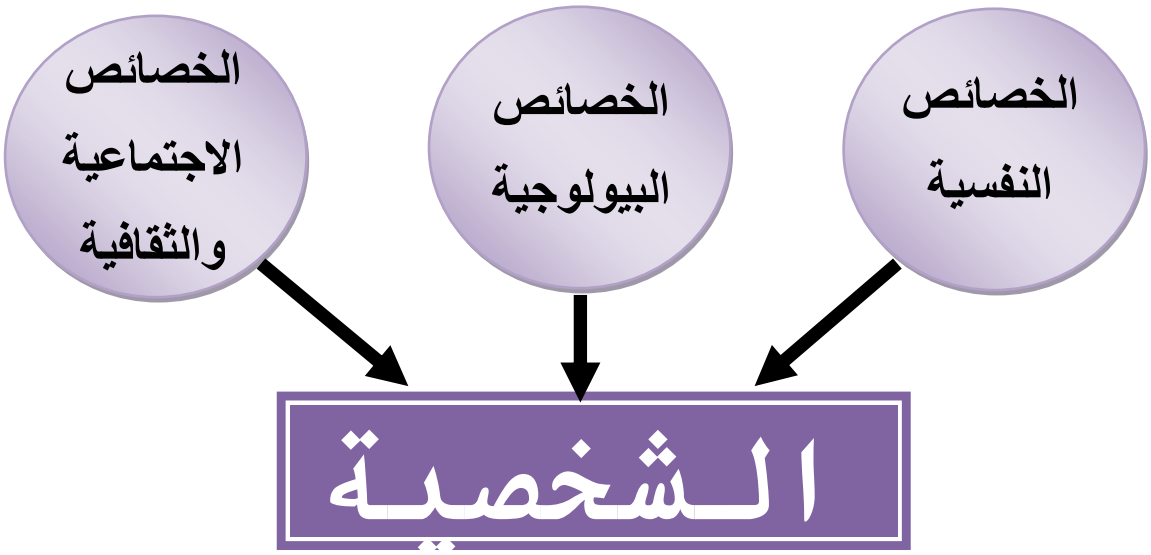


**الشكل رقم (01) يبين مكونات الشخصية**

وعليه فإن النظرة السوسيولوجية للشخصية، تتلخص في أن الفرد وبدون عضويته في الجماعات والاشتراك في العديد منها، لا يستطيع أن يتجاوز المستوى "الحيواني" بل ويظل عند أصله البيولوجي، ومن ثم فإن عدم عضويته في الجماعات التي يعيش بينها وتحيط به (التي تشكل بيئته الاجتماعية)، لا تنمو شخصيته.

لقد اهتم علماء الاجتماع، بدراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية، منذ بداية **القرن 20**، وتمثل الدراسة التي أجراها العالمان و.**أ. توماس W.Thomas** و**فلوريان زنانيكي F. Zaniecki**، من أهم هذا النوع من الدراسات، حول "**الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا Polish Peasant in Europe and America**"، وهي عبارة عن تقرير يتضمن خمسة مجلدات، تشتمل على تفسير علمي للأسرة الريفية، والحياة الجمعية، وما طرأ عليها من تغيير نتيجة لظاهرة التصنيع، وهجرة الفلاحين البولنديين إلى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية (دياب، د. ت، صفحة 119). حيث استخدم الباحثان الوثائق الإنسانية في البحث عن الشخصية والثقافة، كالرسائل والمقالات الصحفية ومجلات المحاكم وتقارير الهيئات والجمعيات، وخاصة تاريخ حياة الأفراد، مع ما تضمنته المذكرات الشخصية حول هذا الموضوع. وقد ساعد كل ذلك على كشف وتحليل حياة الأفراد في مواقفهم وسلوكاتهم، في تعصبهم ومعالجتهم لمشكلاتهم الخاصة، ومدى إحساسهم بوطأة القيود الاجتماعية المحيطة بهم. وبذا، تمكن الباحثان من استغلال هذه المادة في تفسير تكوين الشخصية وتفككها، وإمكانية إعادة تكوينها من جديد، والأنساق الاجتماعية المتغيرة في ضوء الأوضاع الجديدة من جهة أخرى.

وهكذا، يرى علماء الاجتماع أن نوع الثقافة، هو الذي يشكل البناء النفسي في حياة المجتمع، بل وهناك من علماء الاجتماع من يرون عدم وجود أي نوع من الغرائز أو الدوافع، التي تدفع الأفراد إلى ممارسة سلوك معين أو القيام بنشاط ما، وليس هنالك في نظرهم أية استعدادات وراثية في طبيعة الفرد، سواء في قدراته العقلية أو اتجاهاته الانفعالية الوجدانية، أو مترعه السلوكي، وإنما كل ما يتوفر عليه الفرد الاجتماعي، إنما هو مكتسب من مدى تفاعله ونشاطه الإنساني، مع خبرات ثقافته التي انتقلت إليه عبر الأجيال ويعيش معها.

### 2- المحددات الثقافية للشخصية:

تعتمد "نظرية الشخصية" على ما تتميز به الشخصية من تفرد أساسي، تتحدد في ضوئه مختلف الوقائع والسمات الشخصية. واستنادا إلى هذه النظرة في دراسة "الثقافة والشخصية" توصل **كلايد كلاكهون C. Kluckohn** إلى عدد من التعميمات أو القضايا العامة أو المحددات الخاصة بالشخصية، نوردها على التوالي: (دياب، د. ت، الصفحات 123-124)

- تبرز سمات الشخصية الخاصة عن المحددات العامة المرتبطة بالبواعث والقيم والدوافع الاجتماعية، وهي عناصر ثقافية تتميز بالكلية والشمول، يتسم بها "الشخص" في كل زمان ومكان.
- يميل أعضاء أي مجتمع إلى مشاركة بعضهم البعض في "سمات شخصية" مشتركة، يسميها **كلاكهون** بالسمات المشتركة.
- يتسم السلوك الاجتماعي في كل جماعة اجتماعية ببعض المميزات الثابتة والخصائص المحددة، فوراء كل سلوك "دافع" يصدر عن القيم الاجتماعية.
- قد يختلف أفراد المجتمع الواحد، وتتمايز سمات الشخصية فيه، والتي تلعب نفس الدور، والسبب في ذلك يرجع إلى وجود بعض السمات النوعية، التي تمتاز بها وتنفرد كل شخصية على حدا، وتسمى "السمات الفطرية" وهي سمات تتصل بطبيعة الشخصية، الأمر الذي يفسر نوعيتها وتفردها.
- توجد بعض التشابهات بين أفراد مجتمعات متباينة ومتمايزة ثقافيا، ومرد هذا التشابه في نمط الشخصية -حسب **كلاكهون**- إلى تشابه المحددات الفطرية، وتجانس السمات والعناصر الخلقية الكامنة في التركيب أو البناء الأساسي للشخصية، بمعنى أن السمات الفطرية هي عناصر أو مكونات خلقية قائمة في طبيعة الشخصية، ومن ثم فإن العناصر والمحددات الفطرية لا تلتزم بالمجتمع، ولا تتصل بالضرورة بوجود المجتمع، وقيمه.

### 3- الثقافة واختلافات الشخصية:

يرى علماء الاجتماع أن أهم عامل يحدد اختلاف الشخصية من مجتمع إلى آخر، يرجع إلى تأثير الثقافة، ومن القضايا التي أصبحت موضع اتفاق بين الباحثين في موضوع الشخصية ومدى اختلافها من مجتمع إلى آخر، وداخل المجتمع نفسه، ما يلي: (دياب، د. ت، الصفحات 124-126)

- إن اختلاف سمات الشخصية في المجتمعات المختلفة، يرجع بالدرجة الأولى إلى تأثير الثقافة، وقد كان لعلماء الأنثروبولوجيا دور مهم في إبراز هذه الاختلافات، وكان ذلك بتركيزهم على دراسة عدد كبير من المجتمعات البدائية ذات الثقافة البسيطة، وإن لم يتمكن هؤلاء من إبراز أثر الثقافة على الشخصية بوضوح، فقد استفاد علماء الاجتماع من المادة الأنثروبولوجية في تحديد العوامل التي تتأثر بها شخصيات أفراد المجتمع. حيث تقدمت دراسات علم الاجتماع التي ركزت على تحليل العلاقة بين الشخصية، وكل من المركز الاجتماعي، والدور الاجتماعي والتغير الاجتماعي. ولهذا ركز علماء الاجتماع اهتماماتهم على العلاقة بين الشخصية والثقافة اللامادية، وبخاصة علاقة القيم بالشخصية، وأهملوا إلى حد ما علاقة الشخصية بالثقافة المادية. ومن بين الذين اهتموا بدراسة هذا الموضوع العالمان **أوجبرن Ougbern** و**نيمكوف Nimkoff** حيث قررا أن العناصر المادية من الثقافة ذات استجابات تؤثر على الشخصية.
- ترتبط الشخصية ارتباطا وثيقا بالأنماط الثقافية، ومعنى هذا أن كل نمط ثقافي يمكن أن يؤدي إلى تثبيت سمات معينة في الشخصية، ويتضح ذلك في المواقف المجتمعية إزاء موضوعات معينة، مثل موقفها تجاه عمل المرأة، ومدى علاقة ذلك باستقلاليتها المادية أو طاعتها لزوجها، فبعض المجتمعات تسمح للمرأة بالعمل وأن تستقل ماديا، لكنها لا تمنحها الحقوق المدنية المساوية للرجل، أو الترشح للقيادات العليا، فيما يكون ذلك متاحا لدى مجتمعات أخرى، حتى إن كانت المرأة غير عاملة.
- هنالك العديد من الدراسات الأنثروبولوجية للثقافة، وفي مقدمتها الدراسات التي أجرتها عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية **روث بنديكت R. Benedict** والتي توصلت من خلالها أن لكل ثقافة صيغة (غامري، 1989، صفحة 94)كلية تطبع شخصية أفراد المجتمع بطابع عام، ولهذا حاول عدد من الباحثين الاجتماعيين التدليل على وجود نمط رئيسي للشخصية، يميز كل ثقافة على حدا.
- يعترض فريق من الباحثين الاجتماعيين على الفكرة السابقة، التي مؤداها أن جميع أعضاء المجتمع، يمكن أن يكون لهم نمط واحد للشخصية، وأن هذا الموقف النظري يكون صحيحا فقط في حالة المجتمعات ذات الثقافة البسيطة، مثل البدو والقرويين، والتي لم يمسها تغيير عميق، في حين يكون الأمر مختلف بالنسبة للمجتمعات الحضرية والصناعية الواسعة النطاق، والتي تسودها ثقافات فرعية متعددة.
- يعد التغير الاجتماعي، من أهم العوامل التي تؤدي إلى اختلافات جوهرية في الشخصية، إذ من المعروف أن التغير الثقافي يصاحبه تغير اجتماعي، يؤدي إلى إحداث تحديدات وتعديلات في المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات، إلا أن درجة قبول واستيعاب هذا التغير تتفاوت بين الأجيال، فجيل الآباء أو كبار السن قد يقفون ضد التغيير حفاظا على مقومات شخصيتهم الأصيلة، بينما يميل جيل

الأبناء أو الشباب إلى قبول التغيير والتجاوب مع عملياته. ولذا، يتوقع علماء الاجتماع وجود أنماط مختلفة من الشخصيات، قد تظهر في الجماعة الواحدة، وفي المجتمع الواحد.

**المراجع:**


م. ر ماكيفر، و شارلز بيج. (2000). *المجتمع*. القاهرة: مكتبة النهضة العربية.

محمد حافظ دياب. (د. ت). *الثقافة والشخصية الفصل الأول- فصل دراسي ثاني كود (519)*. جامعة بنها: مركز التعليم المفتوح.

محمد حسن غامري. (1989). *المدخل الثقافي في دراسة الشخصية*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

ميشال دينكن. (1980). معجم *علم الاجتماع*. (إحسان محمد الحسن، المترجمون) بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.